

وَمِنَ ٱلنَّاسِمَن يَشُرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُ وَفُّ بِٱلْعِبَادِ ۞

ومن الناس - اللقاء الثالث - نموذج إنسان باع نفسه لله

03 موضوعات قرآنية

محاضرة في الأردن

2022-06-26

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، في هذه اللقاءات الطيبة نتحدث عن نماذج قرآنية، تحدثنا في اللقاء السابق عن نموذج المفسدين:

بِسْمِ اللَّاهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ□ فِي الْحَيَوٰةِ اللَّاْتَيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِاۤ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِضَامِ(204) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ □ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205)

(سورة البقرة)

في اللقاء الذي قبله تحدثنا عن نموذج المنافقين:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَمِنَ ∐لنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(8)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ا وَالَّذِينَ طَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْقَادَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْقَدَابِ(165)

(سورة البقرة)

تفسير العلماء لقوله تعالى (كِتْبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ):

هذه نماذج قرآنية، وذكرنا أن الله تعالى لمّا قال:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ لَقَدْ أَنرَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِثْبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۞ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(10)

(سورة الأنبياء)

فالعلماء **لهم تفسيران** في قوله تعالى: **(كِتُبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ)** بعض المفسرين قالوا **(فِيهِ ذِكْرُكُمْ) أي فيه علو مكانتكم وعلو شأنكم،** فمن يذكر أبا بكر الصديق فيترضّى عنه إلا لأن القرآن الكريم رفعه، ومن يذكر أبا جهل فيلعنه إلا لأن القرآن الكريم قد خفض شأنه، فالقرآن يرفع الله به أقواماً، ويخفض به آخرين، فمن آمن به علا ذكره إلى يوم القيامة، ومن أعرض عنه نزل ذكره إلى يوم القيامة.

أين كان بلال الحبشي رضي الله عنه وأرضاه وهو عبد حبشي لولا أن القرآن وإيمانه بالقرآن وإيمانه بمحمد وبالإسلام رفع ذكره، فجميعنا اليوم نقول: سيدنا بلال رضي الله

صهيب الرومي وغيره، هذا فيه ذكركم اي فيه علو شأنكم، فنحن أمة الإسلام ما إن تمسكنا بكتاب الله تعالى رفع الله ذكرنا وما إن أعرضنا عنه خفض الله ذكرنا بين الأمم وأصبحنا أمة كأي أمة من الأمم لا شأن لها عند الله.



وقاُلّ بعضَّ الْمَفُسرين: (فِيهِ ذِكْرُكُمْ)؛ أي إن القرآن الكريم يذكرنا في صفحاته، وهذا المعنى الذي انطلقنا منه، القرآن الكريم يذكرنا في صفحاته فيذكر الخاسرين، وقد يقرأ القرآن إنسان فيجد نفسه خاسراً، فالقرآن ذكره، وربما يذكر المتقين فيقرأ القرآن مُتَّقٍ لله فيجد ذكره في كتاب الله، لما يقول تعالى:

> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)

(سورة الذاريات)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَيٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(35)

(سورة الصافات)

يذكر أقواماً هذه صفتهم، ولما يقول:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَءَاخَرُونَ □**غْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صُلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا** عَسَى □للَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ □للَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(102) (سورة التوبة)

يذكر قوماً صفتهم أنهم قد خلطوا بين الأعمال الصالحة والسيئة، فالقرآن فيه ذكرنا بمعنى رفعة شأننا وفيه ذكرنا بمعنى أنه يذكرنا كنماذج بشرية، فكل واحد منا يقرأ كتاب الله يجد وصفاً له في كتاب الله، وبهذا المنطلق إذا قرأ الإنسان كتاب الله يصبح متدبراً لآيات الله، لأن التدبر في أروع معانيه، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ **كِتْبُ أَنرَلْتُهُ إِلَيْكَ مُثِرَكُ لِّيَدَّبَرُواْ ءَايْتِمِ** ۚ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الْأَلْبُبِ(29)

(سورة ص)

في أروع معانيه أن تتدبره بمعنى أن تقول أين أنا من هذه الآية؟ فإذا قرأت قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يُ**النُّهَا** الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْنَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ الطَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الطَّنِّ إِيْمٌ ا وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْطًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنُمُوهُ وَالنَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابُ رَّحِيمٌ(12)

(سورة الحجرات)

فهذا النداء لي، فهل أنا أجتنب الظن، أم أنا أُسيء الظن بالآخرين بغير قرينة؟ وإذا قرأت **(وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)** فهل أنا أغتاب الناس، أم أنني أُمسك لساني عن ذكر عورات الناس؟ فلما تقرأ كتاب الله تعالى تتدبره بمعنى أنك تنظر أين أنت من هذه الآيات التي تقرؤها.

نموذج الإنسان الذي باع نفسه لله:

اليوم النموذج البشري أيضاً في سورة البقرة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ الْبَيْغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ا وَاللَّهُ رَءُوفُ" بِالْعِبَادِ(208)

(سورة البقرة)

هذا نموذج صالح، النماذج السابقة التي ذكرناها نماذج سيئة من الناس: مفسد، ومشرك ومنافق، أما هذا النموذج فهو نموذج إنسان باع نفسه لله، ولسان حاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاق وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ]لْغُلَمِينَ(162)

(سورة الأنعام)

ولسان حاله :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رُجِعُونَ(156)

(سورة البقرة)

فنحن مُلكٌ لله، ولسنا ملكاً لأنفسنا، فيفعل بنا ما شاء جل جلاله ونرضى بقضائه وقدره فقد بعنا أنفسنا لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ إِنَّ اللَّهَ اِشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوْلَهُم بِأَنَّ لِهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۚ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقَّا فِي التَّوْرَبٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْلُفُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِوا مِنَ اللَّهِ فَا سَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)

(سورة التوبة)



البيع فيه طرفان تمن وسلعة لها الكرام بادئ ذي بدء، لما قال الله تعالى: (وومَن الثّاس مَن بَشْرى تَغْسَهُ) طبعاً هنا معنى يشري: يبيع، يشري من الكلمات المتضادة في اللغة العربية، عندنا اشترى: قدم الثمن وأخذ في الآية هنا وباع: قدم السلعة وأخذ الثمن، باع واشترى، أما شرى فتأتي بمعنى باع، وتأتي بمعنى اشترى معاً، هذا من جماليات اللغة العربية، ألفاظ فيها تضاد، تاتي بالمعنيين معاً، طبعاً ممكن أن تُؤخَذ في الآية هنا على المعنيين، سآتي إلى ذكر ذلك، لكن لما ذكر الله قضية الشراء، الشراء والبيع شيء، والهبة شيء، الهبة: هي أن تعطي شيئاً بلا ثمن، بلا مقابل، هذا اسمه هبة، فتقول لي: أنا وهبتك هذا الهاتف، إذاً أنت لا تريد ثمنه، هبة، والبيع: تقول أعطيتك أو بعتك هذا الهاتف بمئة، فالبيع فيه طرفان ثمن وسلعة، الهبة طرف واحد والعبرة - بالمناسبة في الفقه هذا الأمر العبرة في العقود للمعاني لا للألفاظ والمباني، فمثلاً لو قال إنسان لآخر: وهبتك هذا الهاتف بمئة ليرة، فهذا بيع ولو قال له بعتك هذا الهاتف بلا ثمن فهذه هبة - فالعبرة للمعاني لا لألفاظ والمباني، أحياناً أهل الشام تأدباً مع كتاب الله يقول: وهبتك المصحف بمثني ليرة حتى لا يقول بعتك، في حقيقته العقد عقد بيع ولكن تأدباً يقول له: وهبتك المصحف بكذا فهو بيع لأن فيه مقابلاً، على كلًّ هذه على الهامش.

المقابل الذي ينتظره الإنسان:



ارسان مفطور على التقام سينا بد مفايل فلما قال تعالى: (**وَمِنَ النَّنَاسِ مَن يَشْرِى)** إذاً هناك عقد، هناك بيع أولاً يوجد عقد ثانياً يوجد بيع، لماذا؟ لأن الإنسان أيها الكرام مفطور في داخل نفسه أنه لا يقدم شيئاً بلا مقابل، أبداً، سيخطر في بالك فوراً ماذا يتكلم الشيخ؟ والصدقات التي نقدمها؟ لا ليست بلا مقابل ننتظر الأجر عند الله، فقط، المؤمن عندما يقدم شيئاً لله لا يعني أنه يقدمه بلا مقابل، هو يقدمه بلا مقابل دنيوي، لكنه يطمع في المقابل الأعظم الأخروي، وإلا ما كان قدّمه، هذه فطرة الإنسان، انظروا إلى قوله تعالى في سورة الإنسان، قال:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَرَآءً وَلَا شُكُورًا(9)

(سورة الإنسان)

لا نريد من البشر جزاءً، يعني أعطيك فتعطيني، ولا كلمة شكر، لا أريد أن تقول لي: شكراً، لا أريد جزاء ولا شكوراً، قال:

يسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(10) فَوَقَلْهُمُ ۖ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ اللَّيْمِ وَلَقَّلْهُمْ تَصْرَةً وَسُرُورًا(11) وَجَرَلْهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا(12) (سورة الإنسان)

إلى أن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا(22)

(سورة الإنسان)

هم ما طلبوا الجزاء في الدنيا ولا الشكر في الدنيا فأعطاهم الله الجزاء في الآخرة وشكر لهم سعيهم، إذاً هم لما قدموا قالوا: (إِثَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ◘اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ) ليس أننا لا نريد جزاء، (لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) نريد جزاء وشكوراً من الله فجاءت نهاية الآيات (إِنَّ هُذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاًءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا).

فإذاً الإنسان بشكل طبيعي لا يقدم شيئاً إلا وبأخذ مقابلاً ولكن المؤمن لما يقدم شيئاً لله يعني أنه ينتظر موعود الله فهو أعقل العقلاء لأن عطاء البشر قليل ومنقطع، وعطاء الله كثير وغير منقطع، فإذا قال لك إنسان: تأخذ الآن مئة أم غداً ألف؟ تقول له غداً ألف، فإذا قال لك الآن مئة أم غداً مليون؟ والله أنتظر سنة وآخذ المليون، الإنسان دائماً يريد الأكثر الذي يدوم معه، فلما ربنا عز وجل يشجعه إن هذا عطاؤنا، عطاء الله مختلف عن عطاء البشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الطَّلِحُتِ **فَلَهُمْ أَجْرُ عَيْرُ مَمْنُونِ** [(6)

(سورة التين)



يُعني غير منقطع، عطاء غير مجذوذ أي غير منقطع، فإذاً لا يوجد إنسان يقدم شيئاً بلا مقابل، نقدم لله يعني نريد عطاء من الله هذه حقيقة واقعة، فربنا عز وجل يعاملنا بهذا الأسلوب يقول (**إنَّ اللَّهَ اٍشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمُّ)** استرى يعني هناك ثمن (**بِأنَّ لُهُمُ الْجَنَّةَ) وهنا: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى تَفْسَهُ) معناها يأخذ ثمناً، لكنه ترك الأسلوب يقول (إنَّ اللَّهَ اٍشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمُ**) استرى يعني هناك ثمن (**بِأنَّ لُهُمُ الْجَنَّةَ)** وهنا: (وَ**مِنَ النَّاسِ مَن** يَشْرِى تَفْسَهُ) معناها يأخذ ثمناً، لكنه ترك ، حسوب يعون ب_ان ∟مته ∟**سترى مِن** ∟معووميين العسهم) استرى يعني هناك من **ربان نهم** ⊡نجيم) وهنا. **الومن ∟سترى معسم)** معنوها ياحد ثمنا، لكنه ترك الثمن لله، ذكرت لكم مرة أن مدرس لغة عربية مثلي أنا الفقير، الملك طلبه ليدرس له ابنه، هذا يوم المني، لكن الملك لم يعطه الأجرة، درّس أول درس، ثانت درس، ما أخذ شيئاً، فانزعج، فطلب من الذي يستقبله (الحاجب) قال له: أين الحساب؟ أنا درّست عشر دروس، فدخل الحاجب وقال للملك المدرّس يريد حسابه، فقال له: أعطه ما يريد، فقال المدرس أريد على الدرس 1000 دينار، قال له: حاضر أعطه 10000 دينار، لكن الملك كان ينوي بعد انتهاء العام الدراسي أن يقدّم له بيتاً مقابل هذه الدروس، عطاء الملك أكبر من عطاء الناس، لكنه استعجل فهو أحمق.

فالمؤمن عندما يقدّم شيئاً لله لا يعني أنه يقدم بلا ثمن، مجاناً، لكنه ينتظر الموعود الأكبر، لذلك (وَمِنَ ∏لنّاسٍ مَن يَشْرى نَفْسَهُ ∏بْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ∏للّهِ).

تفصیل فی معنی (مَن یَشْری):

الآن سنتكلم علٍى **يشري**: يشرِي كما قلنا يبيع أو يشتري، أما يبيع فواضحة، قدّم نفسه وأخذ الجنة، قدّم نفسه لله، يارب أنا ملك لك، أنا حياتي لله، سأنفق الزكاة سأصلي لله سأطعم لله سأحج لله سأربي أولادي على منهج الله سأجتنب المعاصي لله، يعني يبيع نفسه لله وبالمقابل يوجد جنة، هذا واضح.



إذا قلناً يشري بمعنى يشتري: هنا بأتي سبب نزول إلآية، قيل كما في التفاسير أنها نزلت في صهيب إلرومي، صهيب من الروم وليس من العرب، وصُهيب لما كان في مكة والنبي صلى الله علَّيه وسلم هاجرَّ حبسه أِهلَ مكة، فأَرَاد أن يِلحق بالنبي صَّلى الله عَليهْ وسَّلم، فقالوا له: أينَ تَلحق؟ مالك ثمَّرته عَنْدناً، جئتنا صَّعلوكاً فقيَّراً لا مال لِك، وكان لك المَّال عندنا فلن ندعك،ً فقال: أرأيتم إن أعطيتكم كل مالي أكنتم تخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم، عرض جيد، قال: خذواً مالي واتركوني، فلما وصل إلى اِلمدينة قال له أبو بكر وعمر وفي في هذا الفكان وضعي جيد جداً، وفكن يا افي هذا المجازة مكرمة طرحت تسريكي لن سيء، وقلت لند الدريد احد راس النواسية التجارة، اشترى نفسه وخلّصها، والمعنى الثاني: باع نفسه لله بمعنى أنه جعل حياته ملكاً لربه فالتزم منهج الله تعالى **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى مُفْسَهُ الْبَيْغَاءَ مَرْمَنَاتِ اللَّهِ)** يعني يبتغي بذلك رضوان الله تعالى، كل الناس، كل الناس ولا أستثني أحداً، إذا عمل يعمل لجهة، وقلنا أولاً يعمل يريد شيئاً، وثانياً: يعمل لجهة معينة، يقول له: لماذا تاجرت هذه التجارة رغم أن فيها رشوة محرمة وكذا يقول لك: من أجل أولادي، رأينا الأولاد الذين ما ترك لهم آباؤهم شيئاً فأردت أن أترك لهم شيئاً فهو يعمل ابتغاء أولاده، والآخر يقول لك: والله رَوجَتيٰ صعبة ْ، وإَن لَم أؤمن لهاً حاجاتهاً تطلب الّمخالعة ُوتتركنيَ وحيداً وليس لّدي الإَمكانيَة للزواج مرة ثانيةَ في العمرَ فألبي لها طلباتَها فيعمل ابتغاءَ مرضاة زوّجته، والثالث: يقول لكُ شريكي صعبّ وإذا منعته من هذه التجارة لن يستمر في شراكتي، وهذه السيارة المسرعة إن سألته لماذا أنت مسرع بهذا الشكل؟ يقول لك ابتغاء لفت الأنظار، وازعاج

المؤمن أعلى قصده هو الله تعالى:



فالإنسان عندما يعمل عملاً له من ورائه قصد، لا يوجد عمل بلا قصد، حتى السارق له قصد، وأيضاً هذه في العمق اسمحوا لي بها، لا يوجد تصرف يتصرفه الإنسان إلا من خلال تصوّر خاطئ عنده أو تصور صحيح، يعني السارق عندما ذهب ليسرق كان عنده تصور واضح أنه يحصّل أكبر كمية ممكنة من المال بأقل جهد ممكن، ولكن لم يكن عنده تصوّر أنه من الممكن أن يُلقى به في السجن، ولا تصوّر أن ربنا سيلقي به في النار، الذي لم يسرق عنده تصوّر آخر صحيح، أن هذا المال الحرام لا يدوم في الدنيا، وسأنفقه على صحتي مثلاً والعياذ بالله، ويوم القيامة نار محرقة، فما أخذ ما ليس له، السلوكات كلها تنبع عن تصورات، لذلك أهم شيء في الدين الإيمان والعقيدة، ولو لم تكن السلوكات تنبع عن تصوراًت لكنا قلنا لَلناًس اعتقدوا ما شِئْتم، لكِن كل سلوك ِّوراءه تصوّر، يعني: لو أن إنّساناً حَضر درساً عند شيخٌ بعباراته أوّ بطريقة خَطِابه أوهمَه أن الله تعالى اجبر عباده على صورات عند المسلم الحبرية، أوهمه أن الله تعالى أجبر عباده على المعصية، قال له: ليس بيدنا الأفعال كلها خلق الله، طبعًا الأفعال كلها خلق الله هذا أكيد، وتابع الحديث أنت حتى معصيتك ليست بيدك، أنت لا تستطيع، أوهمه أن المعصية جبرية، الله أجبره عليها، الإنسان غير مخير، هذا الإنسان سيتصرف تصرفات سيئة جدًا وسيتمادى في المعاصي، وإذا قلت له: لماذا تعصي الله عز وجل؟ سيقول لك: أنا لا علاقة لي يا أخي، طاسات معدودة بأماكن محدودة، كله من عمل الله، لأنه أخذ عقيدة خاطئة، وإذا الشيخ بطريقة خاطئة أوهم المتابعين له أن افعل ما شئت والنبي صلى الله عليه وسلم يشفع لك يوم القيامة، تراه غارقاً في المعاصي حتى الصلاة لا يصليها، يقول لك: نحن أمة سيدنا محمد المرحومة والنبي يشفع لنا، شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم حق ولكنها لا ينبغي أن تكون تُكأة يتكئ عليها المذنبون، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يرى رجالاً يُذادون عن الَّحوشُ، يقوَّل: أمتي أمتي يُقال له: لا تدري ما أحدثوا بعَّدكُ فيقول: سحَّقاً سحقاً.

{ إنى فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، **ثم يحال بيني وبينهم،** فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا، سحقا، لمن غير بعدي } (رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد)

فإذاً ما كل إنسان له شفاعة عند الله، فإذاً القصد بالموضوع أن كل السلوكات التي يقوم بها الإنسان تنبع عن تصورات سابقة ولها قصد، يقصد بها شيئاً، فالله تعالى هنا قال: **(وَمِنَ ∐لنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ)** لماذا باع نفسه لله؟ قال: (<mark>∏بْتِغَآءَ مَرْصَاتِ ∐للَّهِ</mark>) قصده هو الله، إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الآخرون لهم قصد آخر، يكون قصده إرضاء الأقوياء، إرضاء الأغنياء، يكون قصده تحصيل أكبر ثروة، منافسة الآخرين في ثرواتهم، ممكن، له قصد، أما المؤمن فقصده وأعلى قصده

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ الْنِغَآءَ مَرْصَاتِ اللَّهِ ا وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ) هنا ما معنى (وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ) هنا ما معنى (وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ) هنا ما معنى (مَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ) لأن الله تعالى لَا يحمل إنساناً فوق طافته، يعني صهيب الرومي باع نفسه لله، ترك كل ماله، نحن الآن مجموعة، من منّا وقع في موقف اضطُرُّ أن يتخلى عن كل ماله لينجو بنفسه؟ ولا أحد، سيدنا إبراهيم طُلب منه أن يذبح ابنه، نبي:

وأشد الناس بلاء الأنبياء، من منا تعرض في حياته لامتحان أن يذبح ابنه؟ والله لا يستطيعها إنسان، ماشطة بنت فرعون تعرضت لامتحان قاسٍ جداً، النبي صلى الله عليه وسلم شم رائحتها رائحة مسك في الإسراء والمعراج لم يشم مثلها قط، قال رائحة من هذه؟ قال رائحة ماشطة بنت فرعون ، قتل أولادها أمامها وهي تُقول ربي وربك الله.

{ مَرَرْتُ ليلةَ أَسْرِيَ بي برائحةِ طيِّبةِ، فقُلتُ: ما هذه الرائحةُ يا جبريلُ؟! قال: هذه ماشطةُ بنتِ فِرعَونَ، كانت تُمَشِّطُها، فوقَعَ المُشطُ من يَدِها، **قالت: بسم اللهِ، قالت ابنهُ فِرعَونَ: أبي؟ قالت: ربِّي وربُّ أبيكِ**، قالت: أقولُ له إذنْ! قالت: قولي له، قال لها: أولكِ ربٌّ غَيْري؟ قالت: ربِّي وربُكَّ الذي في السماءِ، قال: فأُحْمى لها بَقرةً من نُحاس، فقالت: إنَّ لي إليكَ حاجةً، قال: وما حاجتُكِ؟ قالتْ: أَنْ تجمَعَ عِظامي وعِظامَ وَلَدي، قال: ذلك لكِ علينا، لمَا لكِ علينا منَ الحقِّ، فألَّقي ولَدَها في البَقرةِ واحدًا واحدًا، فكان آخِرَهم صبيٌّ، فقال: يا أُمَّهُ! اصْبري، فإنَّكِ على الحقِّ. }

(أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس)

الصبر على الابتلاء:



يُنرِّل الله تعالى من الصبر على قدر البلاء

من اضطر أن يقع بهذا الأبتلاء (وَ اللَّهُ رَءُوفُ ا مِ الْمِتنَا في يحملك الله عز وجل إلا ما تطيق، ويُنرِّل الله تعالى من الصبر على قدر البلاء، هذه الآية كما قلنا نزلت في خبيب بن عدي في غزوة صهيب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في خبيب بن عدي، وقد تعددت أسباب النزول يعني تأتي الآية فتُتسب لهذا السبب أو لهذا، نزلت في خبيب بن عدي، وقد تعددت أسباب النزول يعني تأتي الآية فتُتسب لهذا السبب أو لهذا، نزلت في خبيب بن عدي، وعلى رأسهم عاصم بن ثابت ليعلموهم، فلما كانوا في الرجيع بين مكة والمدينة جلسوا فأكلوا التمر وألقوا الله، أرسل لهم تسعة رجال معهم زيد بن الدثنة، وخُبيب بن عدي، وعلى رأسهم عاصم بن ثابت ليعلموهم، فلما كانوا في الرجيع بين مكة والمدينة جلسوا فأكلوا التمر وألقوا بالنوى، نوى المدينة، تمر المدينة فلما مرت عجوز وجدت النوى فأخبرت قريش بأنه قد مر ركب من قوم محمد من هنا، فتبعوا آثارهم فوصلوا إليهم فقتلوا منهم من قتلوا، وأسروا، فكان ممن أسر خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فخبيب أعدوا له خشبة الصلب في مكة وجاؤوا به ليصلبوه وقالوا له: ماذا تريد قبل أن تلقى الله؟ قال لو شئتم أن تتركوني أن أركع ركعتين فافعلوا فتركوه فركع فلما قضى الركعتين قال: والله لولا أني خشيت أن تقولوا أنه طوّل في الصلاة جزعاً من الموت لطوّلت، ما أراد أن ينالوا منه هذا الأمر، وقُتل خبيب بن عدي وقبل استشهاده طلب موساً ليستحد به ليحلق به لأنه أسر لفترة قبل أن يُعدم، فجاء طفل صغير فجلس في حضنه والموس في يده، فأم الطفل رأته فركضت مسرعة تصرخ بأعلى صوتها، أسير، وصار طفلها بين يديه والموس بيده فقال لها: أخشيت أن أقتله؟ نحن قوم لا نغدر، نحن ما تعلمنا الغدر، تقول هذه المرأة: والله ما رأيت أسرأ أجمل من خُبيب، كنت أراه يأكل قِطفاً من العنب وما حوله شيء من العنب، ولولا أن الله يطعمه لما أكل، هذا خُبيب، فلما قُتل خبيب في الله أنشد قبل أن يموت:

شلوٍ: أي عضوٍ، ودعا على قريش دعا عليهم ثم قال: اللهم أقرئ نبيك مني السلام وبلغه الغداة ما يُصنع بنا، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فقال: وعليك السلام يا خُبيب – دون جهاز خليوي، لا يوجد آيفون- وعليك السلام يا خبيب، قتلته قريش.

{ بعث النبي □ سرية عيناً، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحبٍ من هذيل يُقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريبٍ من مائة رامٍ، واقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمرٍ تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم، حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد، وجاء القوم، فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً؟ فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ بالنبل، وبقي خبيب، وزيد، ورجلُ آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلو أوتار قسيهم، فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث -أي المسلم الذي كان معهما-: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجروه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه. وانطلقوا أسيراً، حتى باعوهما بـ "مكة"، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، قال: فغفلت عن صبيٍ لها فدرج إليه حتى أناه، فوضعه على فخذه، فلما رأته فزعتُ منه وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله؟ وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بـ "مكة" يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثقُ في الحديد، وما كان إلا رزقُ رزقه الله. فخرجوا به إلى الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: "اللهم أحصهم عددا". }

{ الأَرُواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةُ، فَما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ. }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

اليوم ممكن إنسان يطلب بهذه اللحظة فرضاً، يتصل بالهاتف ويقول سيقتلونني، لم تعد معجزة، اليوم نحن أقدر على تصديق المعجزات من أي وقت مضى، اليوم ليس بين مكة والمدينة، اليوم تخبره بما يحدث معك باللحظة بالصوت والصورة وهو بالقطب الشمالي، تنقل له نقلاً مباشراً ما الذي يحدث، فالخالق العظيم الذي هيأ لنا أسباباً لنصل إلى هذه المرحلة هو أقدر جل جلاله على صنع معجزة في وقت لا توجد فيه الأسباب ولكن يوجد مسبب الأسباب جل جلاله، فقيل نزلت في خبيب فخُبيب تعرّض لابتلاءٍ، فالله تعالى ذيّل الآية ب(وَاللَّهُ رَءُوفُ الِ بِالْعِبَادِ) يعني ليس كل إنسان سيتعرض لما تعرض له خبيب.



تلى الرجل على قدر دينه

يُبتِكُ الرُجلُ عَلَى قَدَرُ دَيْنِيَّ، ونحن دائماً نقول يارب نحن مؤمنون بك، لكن نسأل الله أن تكون امتحاناتنا خفيفة، لا نتحمل الكثير، لأن الإنسان مطلوب منه أن يطلب من الله العافية وليس البلاء، النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم لما ضُرب في الطائف حتى أدميت قدمه ولجأ إلى بستان ودعا الله تعالى، قال في نهاية الدعاء:

{ إِن لَمْ تَكُنْ غَضِبانًا عَلَيَّ فَلا أُبِالَي، غَيرَ أَنَّ عَافِيتَكَ هِي أُوسِعُ لَي }

(أخرجه الطبراني)

يعني إن كان ما حصل معي في الطائف تعبيراً عن غضبك علي فهذه مصيبة، أما إن كان ابتلاء تريد أن ترفع به الدرجات فلا أبالي، لأن الدنيا زائلة، قال: (غيرَ أنَّ عافيتَكَ هي أوسعُ لي) فأدب المؤمن مع الله يسأل الله العافية، لكن يوطن نفسه أن الدنيا فيها ابتلاءات، فيوطن نفسه أن إذا ابتلي بالرخاء شكر وإذا ابتُلي بالشر صبر:

يِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِثْنَةً [وَإِلَيْنَا ثُرْجَعُونَ (35)

(سورة الأنبياء)

فلما ذيّل الله تعالى الآية بقوله(**وَ∷للّهُ رَءُوفُ** اٍ بِرَالْعِبَادِ) كأنه يطمئنك أن رأفته جل جلاله -هو من أسمائه الرؤوف- تقتضي أنه جل جلاله يعلم السر وأخفى فلا يحملك ما لا تطيق وإنما امتحانات على قدرك وقدر زمانك وظروفك ووضعك فهو أعلم تعالى بعباده وبنفوسهم من كل البشر.

هذا نموذج (مَن يَشْرِى نَفْسَهُ]ابْنِغَآءَ مَرْضَاتِ [اللَّهِ] وَ[اللَّهُ رَءُوفُ] بِ[لْعِبَادِ).

والحمد لله رب العالمين.